

الحلقة الثانية والثمانون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن الأمثال التي كتبها أجور ابن منقبة مسّا. وقد تأملنا في اللقاء السابق عن نتائج الاستهزاء بالوالدين وعدم إطاعتهم. ثم تحدثنا عن أربعة أشياء لا تشبع وهي: الهاوية والرحم العقيم، والأرض والنار. وقلنا إن هذا يشير إلى عدم شبع الإنسان، وأن خلاص الله هو الذي يُشبع القلب.

مستمعي الكريم، كنا ذكرنا سابقاً أن أجور الحكيم تحدّث بأمثال يحتوي كل منها على أربع حالات أو أمور. ولقد تأملنا سابقاً بأربعة أصناف من الناس، وأربعة أشياء لا تشبع. وفي لقاء اليوم سنتحدث عن المزيد من هذه الأربع حالات. حيث سنتأمل بأربعة أشياء عجيبة.

كتب أجور الحكيم قائلاً: "ثلاثة عجيبة فوقى وأربعة لا أعرفها. طريق نسر في السموات، وطريق حيّة على صخر وطريق سفينة في قلب البحر، وطريق رجل بفتاة. كذلك طريق المرأة الزانية. أكلت ومسحت فمها وقالت ما عملت إثمًا." (أمثال ٣٠: ١٨-٢٠)

يشير هنا أجور الحكيم إلى أربعة أشياء أو طرق لا يستطيع معرفتها. وموضع العجب هنا أنها لا تترك أثراً يدل عليها. فالنسر يخلّق في الفضاء الفسيح، ولا أحد يستطيع اقتفاء الطرق التي يسلكها. وكذلك الحيّة لا أحد يدري طريقها على الصخر، إذ تختفي وتظهر فجأة. وأيضاً إن البحر واسع الأطراف ولا أحد يقدر على معرفة مسار السفينة أو طريقها عبر مياهه. أما طريق الرجل إلى قلب الفتاة، فهو طريق غامض وخفي. إذ لا أحد يعلم كيف تنمو العواطف ويتطور الحب بين الشاب والفتاة. لكن الأعجب من هؤلاء جميعاً طريق المرأة الزانية. التي بالرغم من خطيئتها الواضحة فهي قادرة على سترها وإخفائها، وهكذا تدّعي أنها لم تفعل إثمًا. ولعلّ هذه هي أخطر الأمور التي يريد الحكيم أن يوجّه أنظارنا إليها.

يلفت أجور الحكيم انتباهنا إذن إلى خطورة إخفاء أعمالنا الشريرة. ومن المعروف أن لا أحد يرغب أن يعرف الآخرون بما يفعله من شرور وآثام. ولهذا يحاول جاهداً قدر الإمكان على إخفائها، والإدعاء أنه شخص صالح، وأن يظهر للآخرين بأفضل ما يكون. هل تعلم مستمعي أن إخفاء الشرور والآثام هو من أساس طبيعتنا البشرية؟ لكن السؤال هو: هل ننجح في إخفاء حقيقة نفوسنا عن الله تعالى؟

تساءل النبي داود قديماً موجهاً كلامه إلى الله فقال: "أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب." (مزمور ١٣٩: ٧) وفي مكان آخر كتب قائلاً: "يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخف." (مزمور ٥: ٦٩) وقال النبي موسى أيضاً: "قد جعلت آثامنا أمامك خفيّاتنا في ضوء وجهك." (مزمور ٨: ٩٠) وهذا يؤكد أنه من المستحيل علينا أن نخفي آثامنا وحقيقة نفوسنا عن الله. إذا كان هذا هو الوضع بالنسبة لله خالقنا، لكن هل نستطيع أن نستمر بإخفاء ذنوبنا عن الآخرين؟ أجاب المخلص المسيح عن هذا السؤال قائلاً: "لأنه ليس خفيّ لا يظهر ولا مكتوم لا يعلم ويُعلن." (بشارة لوقا ٨: ١٧) فمهما كنا ماهرين بإخفاء آثامنا، فسيأتي يوم نكتشف فيه حتى أمام الآخرين.

هل تعلم مستمعي أن كل أعمالنا وخفايانا سيحاسبنا عليها الله يوم الدينونة؟ كتب سليمان الحكيم في سفر الجامعة قائلاً: "لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفيّ إن كان خيراً أو شراً." (جامعة ١٢: ١٤) إذن، إن الله سيحاسبنا في يوم الدينونة على كل أعمالنا ولن ننجح في إخفائها.

مستمعي الكريم، لقد حاول البعض قديماً الاختباء من الله، لكن محاولاتهم هذه باءت بالفشل الذريع. فبعد أن عصى آدم وحواء الله، واكتشفا انهما عريانان، خاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين. وعندما سمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة، اختبأ من وجهه. (راجع تكوين ٣: ٧ و٨) "فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخبتأت. فقال: من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟" (تكوين ٣: ٩-١١) وعندئذ أخبره آدم كيف أن حواء خدعته وأطعمته من الشجرة.

لم تتجح إذن محاولة آدم وحواء الاختباء والهروب من وجه الله. لأن كل شيء مكشوف وعريان أمامه تعالى. وكذلك حاول النبي يونان (يونس) قديماً الهروب من وجه الله عندما دعاه لكي يذهب إلى نينوى وينذرهم بدينونة الله القادمة عليهم. فركب سفينة

متوجهة إلى ترشيش. وكانت النتيجة أن أرسل الله ريحاً شديدة إلى البحر حتى كادت السفينة أن تتكسر. وعندما وقعت القرعة على يونان أنه هو السبب في هذه الكارثة، أخبر يونان البحارة أنه هارب من وجه الله، فارتعبوا جداً وقالوا له ماذا نفعل الآن؟ فطلب منهم أن يطرحوه في البحر. وعندها هدأ البحر عن هيجانه. لكن الرب أعدّ حوتاً عظيماً لكي يبتلع يونان، وكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ. ومن جوف الحوت صلى يونان إلى الرب إلهه واعترف بخطأه، وأنه حاول الهروب من وجهه. فأمر الرب الحوت فقفز يونان إلى الشاطئ. (راجع يونان ١ و ٢)

هل أنت ماهر مستمعي في إخفاء ذنوبك عن الآخرين؟ وهل تحاول إخفاءها عن الله؟ قد تتجح في إخفاءها عن الآخرين ولو بشكل مؤقت. لكنك لن تتجح أبداً في إخفائها عن الله تعالى. صحيح أنه توجد طرق غير معروفة كما قال أجور الحكيم، لكن طريق الشر تبقى معروفة ومكشوفة لاسيما أمام الله.

قد يقول قائل: لكني أنا إنسان صالح ولا أفعل شراً. إن الكتاب المقدس يجيبك على هذا الإدعاء قائلاً: "الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله. الكل زاغوا معاً وفسدوا. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد." (مزمور ١٤: ٣ و ٢) إذن إننا جميعاً كبشر خطاة أمام الله وفسادون، سواء ارتكبنا إثماً عظيماً أم لا، أي أننا بالطبيعة خطاة. ولهذا علينا أن نأتي إلى الله تائبين ومعترفين بذنوبنا، ومؤمنين بالمخلص المسيح الذي بواسطته تُغفر خطايانا ويهبنا الله حياة روحية جديدة، وننال الحياة الأبدية. فهل تُراك مستمعي تتوب وتؤمن؟